نماذج من كتابات حول المطران عبدالله قراعلي

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

إنّ المطران عبد الله قرألي سقَّفهُ على بيروت البطريرك يعقوب عوّاد سنة ١٧١٦. ولمّا كانت حالة ذاك الزمان لا تسمح لهُ بالإقامة في بيروت، كرسيّه دائمًا، ساقتهُ العناية، بإيعازِ السيّد البطريرك، إلى السكنى في هذا الدير [مار يوحنّا– حراش] الذي أصبح بوجوده أشبه بفردوس سماويّ، فكان عبد الله حارسًا لهذا الفردوس، يُعنى براهباته عناية الأب الحنون. فألف لهنّ، ما عدا القانون الذي اتّخذته سائر الراهبات في طائفتنا دستورًا، أناشيد الأفراميّات أو الميامر التي نرتّلها الآن في القدّاس. وقد عثرنا على كتاب خُطَّ في عصر المؤلّف نفسه، وفي أوّله ما يلي:

"وبعد، فهذه تقريظات جليلة نظمها المطران عبدالله قرألي الحلبيّ لمّا كان في دير حراش، وجعلها تسلية للراهبات يترتّمنَ بها أحيانًا لطرد الضجر والحزن، ثمّ استحسنها بعض الأساقفه أن تُقال في القدّاس الإلهيّ في الأعياد المعيّنة لها، فأوّل ذلك لسّر البشارة الذي هو أوّل الأسرار: تُرى من يملك عقلًا يُدرك إلخ".

ومن هذه الأسطر يظهر جليًّا غاية المؤلّف الأوّليّة، وتاريخ دخول هذه الميامر في طقوسنا. وكلٌّ يعلمُ طولَ باعِ هذا الأسقف في نظم هذه التقاريظ وأمثالها ممّا يُشعِر بحسن تقواه، وجودة قريحته الشعريّة.

الأب إبراهيم حرفوش، المُرسَل اللبنانيّ،

"الأديار القديمة في كسروان: دير مار يوحنّا حراش" في مجلّة المشرق، السنة ٧ (١٩٠٧)، العدد ٧، ١ نيسان ١٩٠٤، ص ٢١٨.

###

فهذا المغبوط كان مفعمًا من الله حكمة وإفرازًا ونسكًا، ذا عقل ثاقب وعلم راسخ، فصيح اللسان بليغ المعاني، محبوبًا من كلّ من يراه، مهيبًا لأنّ كلّ من كان يواجهه كان يعتبره اعتبارًا عظيمًا وكان يستهابه، وكان يحسّ في ذاته خشوعًا، وميّالًا إلى العبادة. والحال أنّ خلقته بالذات ما كانت جميلة لأنّه كان أسمر اللون، رقيق الجسم، بلحية خفيفة سوداء، بوجه طويل أنكش بزيادة، طويل القامة ممشوق، يداه طوال رقيقتان، طويل الأنامل، راسه كبير، عيناه ناتئتان، ذو جبهة عريضة، معبّس عبس فرح احتشاميّ دليل العبادة والخشوع.

الأب توما البودي (اللبّودي)،

"سيرة الطيّب الذكر عبدالله قراعلي الماروني الحلبيّ مؤسّس الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة ومطران بيروت"، نشرها بالطبع لأوّل مرّة وعلّق حواشيها الأب أنطون ربّاط اليسوعيّ، في مجلّة المشرق، السنة العاشرة، العدد ١٤، ١٥ تمّوز ١٩٠٧، ص ٦٣٢.

###

وهو الحبر المفضال عبدالله قراعلي، المؤسِّس الأوّل للرهبانيّة المارونيّة اللبنانيّة، ورئيسها العامّ مدّة ستّ عشرة سنة متوالية. وقد سُقّف على مدينة بيروت، فرعاها أربعًا وعشرين سنة بغيرة رسوليّة، كما قام بأعباء الرئاسة على الرهبان بتقوى وزهد وحكمة جعلته مثالًا حيًّا لمعاصريه الزاهدين، ولمن حذا حذوهم.

الأب أنطون ربّاط اليسوعيّ،

"توطئة سيرة الحبر الطيّب الذكر عبدالله قراعلي المارونيّ الحلبيّ (التي وضعها تلميذه الأب توما البودي [اللبّودي])، مجلّة المشرق، السنة العاشرة، العدد ١٤، ١٥ تمّوز سنة ١٩٠٧، ص ٦٢٥.

###

إنّ سيرة رجال الله، من قدّيسين ورعاة وقوّاد، لؤلؤة في تاج الطائفة المنتسبين إليها، ومفخرة للشرق المُشْرِقِين فيه، فضلًا عن كونها قدوة صالحة للرعيّة، ومشكاة مضيئة لرؤسائها .

ولمّا كان رجل الله، ورجل الشعب، ورجل الرهبانيّة، المطران عبدالله قرألي قد جمع في شخصه فضائل الصالحين، وأظهر همّةَ وحكمةَ أكبر القوّاد والعاملين، وخلّف للطائفة والشرق أجمع رهبانيّة محكمة النظام، عزيزة الجانب، مازالت منذ مائتي سنة تسعى للصلاح والإصلاح، وترك تآليف لا تزال محجَّة الطلّاب، ونبراس التديّن والآداب، فكّرت مند الصغر في جمع الشواهد الناطقة بفضائله وأفضاله، مع استطلاع أخبار وأطوار معاصرية ومعاشريه، وأهمّ الحوادث التي أثّر فيها وأثّرت فيه .

الخوري بولس قرألي،

"مقدّمة" في **اللالي في حياة المطران عبدالله قرألي**، القسم الأوّل، بيت شباب (لبنان)، ١٩٣٢، ص ١.

###

فأيّ عجب، والحالة هذه، أنْ يحبّه رهبانه ويريدوه، حتّى آخر حياته، أبًا لهم ورئيسًا عامًّا، ويعتبروه كذلك، قولًا وفعلًا، حتّى بعد سيامته الأسقفيّة.

فلم ينزلوا عند إلحاحه الشديد في مجمع سنة ١٧١٤، ويعفوه من الرئاسة العامّة، تاركين له المجال لكي يذهب إلى المحبسة التوّاقة إليها نفسه. بل صرخوا نحوه، عند إعلان نتيجة الإقتراع – التي لم يظهر فيها إلّا ورقة واحدة بغير اسم عبدالله، وهي ورقته – "إنّك ما دمت في الحياة ما يكون رئيس غيرك، والذي دبّرك إلى الآن يدبّر أولادك بعدك."

وبعد انتهاء المجمع كان جميع الرهبان فرحين برئيسهم. أمّا الفرح الروحّي الذي كان بينهم فأنا عاجز عن وصفه (البودي [اللبّودي]، في اللآلىء ص ١٦٧، وفي المشرق ١٠، ص ٧٣٠)

ولا يجب أن نرى مبالغة في وصف البودي [اللبّودي] لحزن الرهبان وبكائهم، عندما استقرّ الرأي على قبوله الأسقفيّة. قال: "وناهيك من فرحة عند أولئك، أي المشايخ. والمرسَلون والعوامّ كانوا فرحين متهلّلين. وأمّا عبدالله والرهبان القِلال الذين في لويزه، [ف]كانوا في البكاء والنواح والصراخ بهذا المقدار، حتّى إنّ كثيرين من مشايخ ومرسَلين وغيرهم ابتدأوا أن يُهطِلوا الدموع من نظرهم إلى بكاء أولئك... والأبلغ من ذلك لمّا وصل الخبر إلى بقيةِ الديورة. فذاك أُبقيه إلى القارىء، لأنّ المناحة التي صارت مدّة أَنْوَف من خمسة عشر يومًا أنا عاجز عن إيضاحها." (البودي [اللبّودي]، في المشرق، ٧٣٤ ص١٠؛ واللآلئ ج ٢، ص ٢٩٦).

وهل يُستغرب، بعد ذلك، أن يغضبوا معه، عندما اتُّهم زورًا، أشنع التّهم، سنة ١٧١٩، وأُهين وغُرِّم (بسبب خلافه مع السّيد البطريرك، وابن اخيه المطران سمعان عوّاد)، ويقوموا مع القسم الاكبر من الأساقفة والشعب، يستنكرون التعدّي على الفضيلة والحقّ، ويدافعون طيلة [طَوال] ثلاث سنوات، دفاعًا تكلّل، على يد الكرسيّ الرسوليّ وقنصل فرنسا، سنة ١٧٢٢، بجلاء الحقّ، وانتصار الفضيلة، أمام الطائفة والبلاد.

الأب جرجس موراني، الحلبيّ اللبنانيّ،

"نبذة وجيزة في سيرة المؤلِّف المطران عبد الله قراعلي" في **المصباح الرهبانيّ في شرح القانون اللبنانيّ**، تأليف المطران عبد الله قراعلي مؤسِّس الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة وأسقف بيروت، ١٦٧٢-١٧٤٢، قدّم له ونشره الأب جرجس موراني الحلبيّ اللبنانيّ بمناسبة الذكرى المئويّة السادسة عشرة للقدّيس أنطونيوس الكبير أب الرهبان، ٣٥٦-١٩٥٦، بيروت، مطابع سميا، ١٩٥٧، ص ٣٠-٣١ .

###

مِن مدَةِ زمانٍ مقاربٍ السبع وعشرين سنة، أخذت القضاة والمتشرّعون في جبلنا هذا، ولو كانوا من طغمة الإكليروس، أن يفصلوا، ويقضوا على جميع الدعاوي المدنيّة بموجب رسوم وحدود الشريعة الإسلاميَة فقط، ما عدا الأمور المختصَّة بالإيمان، والآداب بخلاف سلوك سلفائهم، الذين يبان أنَه كان اعتمادهم في ذلك على موجب الكتاب المدعوَ "مختصر الشريعة" المنتسِب للمثلَث الرحمة المطران عبدالله قراعلي الحلبيَ، وعلى غيره.

وهذا الأسقف كان من جملة آباء المجمع اللبنانيّ الكبير المُثبَت من السعيد الذكر البابا بنديكتوس الرابع عشر. ومن هنا يمكنَا نظنّ بفطنة أنَ المونسنيور السمعاني المثلّث الرحمة لا بدَ أنَه يكون اطّلع على سلوك المطران عبدالله المذكور، ونظرايه [ونُظَرائه] بخصوص قطع الشرائع المدنيَة، وارتضى به، أو أقلّه لم يعترضه، لأنَه يَبْعُد عن تصديق العقل أنَ شيء (كذا) مثل هذا يكون اختفى بتمامه عن المرحوم السمعاني، أو أنَه أهمل السؤال عنه بمدّة إقامته بجبل لبنان بوظيفة قاصد رسوليّ لأجل عقدِ المجمع المذكور، وتدابير نظام أحوال الطائفة التي كان يتفاوض بها أيضًا المطران عبدالله المذكور الذي كان من أخصّ المطارين الماهرين في ذاك الزمان.

وكتاب المطران عبدالله هذا مع باقي الإستنادات والتسليمات، التي كانت تستند عليها الآباء والرؤساء السالفين بنهي الدعاوي، والأحكام المدنيّة، بعضهم طبّق الشرائع المسيحيّة والذميّة، وبعضهم طبّق الشرائع الإسلاميّة، وبعضهم بموجب الإصطلاحات والعوائد المقبولة ها هنا. ولم يَبان أنّ أحدًا من القضاة السابقين اعترض للخلاف...

البطريرك يوسف حبيش (١٨٢٣– ١٨٤٥)،

من "رسالة أَنْفَذَها إلى مجمع نشر الإيمان المقدّس في ٢٩ من أيلول سنة ١٨٢٦" في **كتاب مختصر الشريعة أو المجلّة القضائيّة وقانون الأحوال الشخصيّة للمسيحيّين في لبنان على عهد الشهابيّين**، جمعه المطران عبدالله قراعلي، قدّم له ونشره الأب بولس سعد الحليّ ، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٥٩، ص ٢٩.

###

ولمّا تسقّف المطران قراعلي على أبرشيّة بيروت، وباشر القضاء بين أولاده، وجد نفسه أمام فوضى من المراجع القانونيّة ليس بينها، على كثرتها، كتاب واحد يُعتمد عليه، بل كانت كشكولًا[1] من نصوص مكدّسة بغير نظام، تتخلّلها شروح في أغلب الأحايين متناقضة، ويضخّمها الحشو. عبارتها ركيكة، وبعيدة عن الصيغ القانونيّة، ما عدا كتاب "القوانين"، إلّا أنّها كلّها تترك مجالًا فسيحًا للتأويل، وتُوقِع القاضي في حَيْرَة مع أنّ بين يديه مصالح الناس، وأموالهم، وأحوالهم الشخصيّة. فالعدل واجب عليه، والإنصاف فريضة مقدّسة عنده، والوضوح لا غنى عنه في هذه الأحوال. فضلًا عن أنّ العادات المرعيّة في القضاء في لبنان لا تجد لها ذكرًا في هذه المجموعات.

عندئذٍ شمّر المطران قراعلي عن ساعد الجدّ، ووضع كتاب "مختصر الشريعة"، آخذًا القسم الأكبر منه عن مجموعة "القوانين" بعد أن حذف منها الشروح المملّة، واستنباط المؤلّف الذي يمسّ العقيدة الكاثوليكيّة، وأفرغ ما أبقاه منها في كلمات وجيزة العبارات، متينة المبنى، صريحة المعنى. فجاء كتابه دستورًا وافيًا بأغراضِ عصره، ومشتملًا على خلاصة القوانين المبعثَرَة في المجموعات العديدة، وحاويًا العادات الجارية بين الموارنة في لبنان منذ أقدم العصور. ثمّ ألحقه بسِفْر آخر أطلق عليه اسم "الفتاوى" هو بمثابة تطبيق للنصوص يسهل فهمها، والعمل بها في المشاكل العارضة، فدلّت جهوده على مهارة فائقة، ولباقة نادرة مع تضلّع من القوانين، والشرائع، وحبّ للنظام، ولخير الكنيسة العامّ.

إنّ وضع قانون أو تعديله يتطلّب، في عهدنا، جهود شهور وسنين تبذلها لجان من أكبر رجال القانون معرفة وخبرة. فكيف بفرد يتولّى وحده وضع دستور كامل شامل لشعب تتنازع حكمه سلطات مختلفة، إسلاميّة، ودرزيّة، ومسيحيّة؟

إنّ الخدمة الجُلَّى التي أدّاها المطران قراعلي لزملائه خاصّة، وللبنان عامّة، حقّقَتْ للبنان الاحتفاظ باستقلاله القضائيّ أَمَدًا طويلًا، وطبعَتْه بطابَع خاصّ في التشريع الشخصيّ لا تجد له أثرًا في الحكومات التي تجاوره.

[1]. [الكشكول هو وعاء المتسوّل يجمع فيه ما يعطيه إيّاه المتصدّقون. وقد تحوّل استعماله من المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ، وبه سُمّي كتاب بهاء الدين العامليّ (١٥٤٧– ١٦٢٢ م) "الكشكول" لأنّه جمع معالجات مختلفة المواضيع، على غِرار ما يجمع "كشكول" المتسوّل أشياء كثيرة مختلفة، كالأطعمة والأشربة والأردية، وسواها.]

وقد تلقّى الرؤساء الروحيّون كتابَي المطران عبدالله بلهفة الجائع، واعتمدوهما حال ظهورهما كما تشهد النسخ العديدة التي تداولوها، ونصوص الأحكام التي أصدروها في ذلك العهد، وبعده، حتّى أواسط القرن التاسع عشر، بل إنّهم نبذوا ما سواه من المجموعات القانونيّة التي كانت لهم صحراء التَيْهِ بدلًا من عمود النار.

وأَبلَغُ برهانٍ على قيمة هذا الكتاب القرار الذي اتّخذه رؤساء الملّة المارونيّة في ١٩ من تمّوز سنة ١٧٤٤وهاك نصّه:

الحقير سمعان بطرس (عوّاد) بطريرك أنطاكية
"قد اتّفق رأينا أنّ كلّ مطران يشرّع في رعيّته. ولا أحد منّا يشرّع في غير رعيّته أصلًا إلّا بإذن مطران الرّعيّة. والكتب التي نشرّع فيهم [فيها] مختصر الشريعة والفتاوى التي لأخونا [لأخينا] المطران عبدالله. وإذا احتاج أحدنا وقصد غيره في شريعة لأحد فليسعفه بموجب ورقة منه خطًّا.

صحّ تحريرًا في اليوم التاسع عشر من شهر تمّوز سنة ١٧٤٤".

وظلّ كتاب "مختصر الشريعة" دستورًا للطوائف المسيحيّة في لبنان إلى حين إنشاء المحاكم النّظامية فيه سنة ١٨٤٠، أو إلى قُبَيْل ذلك كما سنرى.

الأب بولس مسعد الحلبيّ اللبنانيّ،

"توطئة" في **كتاب مختصَر الشريعة أو المجَلّة القضائيَّة وَقَانون الأحوَال الشخصيّة لِلمَسيحيّين في لبنَان على عَهد الشهَابيّين**، جمَعْها المطران عَبْدالله قراعلي، بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة، ١٩٥٩، ص ٢٢-٢٣.

###

وفي هذه السنة [١٧٠٦] لَقَّبَ القسّ عبد الأحد الرئيس العامّ رهبانيّته "بالرهبانيّة اللبنانيّة" لأنّ ابتداءها كان في جبل لبنان، مثل الرهبانيّة الكرمليّة. ورضيَ البطريرك يعقوب عوّاد بهذا اللقب، وكانت تُلَقَّب سابقًا " بالرهبانيّة الحلبيّة "، لأنّ الذين ابتدأوا بنشأتها كانوا حلبيّين أصلًا. [...].

وفي هذه السنة (١٧٠٨) عمل الرهبان مجمعًا عامًّا في شهر آب مقدّمينه في الزمان، خلافًا لغيره، لأجل الإخوة الذين أرسلوهم إلى رومة. وفي هذا المجمع ثبّتوا القسّ عبد الأحد رئيسًا عامًّا أيضًا، وحدّدوا فيه بعض فرائض تختصّ بالمدبّرين ورؤساء الأديار والمبتدئين، وأمروا فيه بتجديد النذور الرهبانيّة مرّة في السنة، وذلك في عيد القدّيس يهوذا الرسول الواقع في التاسع عشر من شهر حزيران، لأنّه في ليلة عيده تَثَبَّتَ فيه قانون هذه الرهبانيّة، وحدّدوا فيه أنّ المجمع العامّ لا يَدخله إلاّ أصحاب الدرجات المقدّسة. [...].

في سنة ١٧٠٨ أخذت الرهبانيّة ديرًا في بشّراي، في جانب الوادي المقدّس، على اسم القّديس أنطونيوس الكبير، رئيس رهبانيّتهم الأوّل، ومعلي منارَها ومُجْلِي فخارَها. وهذا الدير يُلَقَّب بدير قزحيّا، وهي لفظة سريانيّة معناها " كنز الحياة "، وهو دير اشتهر في

البلاد المشرقيّة بافتعال العجائب والآيات، وشفاء المعتّرين من الأرواح النجسة، من أيّة ملّة ومذهب . يؤمّه الزائرون من كلّ فجٍ وصوب ونِحْلة ومقام . ويتباركون منه حيث إنّه معدود من جملة الأماكن المقدّسة. [...].

وفي سنة١٧١٩ أرسل البطريرك يعقوب عوّاد المطران عبد الأحد إلى دمشق، واستخلص كنيسة الموارنة من يد رهبان القدس الإفرنج، وحصل أخيرًا من جرّاء ذلك فتنه عظيمة بين المطران عبد الأحد، الآنف الذكر، والمطران سمعان عوّاد ابن أخي البطريرك يعقوب الذي كان مطرانًا على دمشق، وبين البطريرك المشار إليه. [...].

في سنة ١٧٢١ أتمّ المطران عبد الله قراعلي تقسيره لقانون الرهبان اللبنانيّين، فكان تقسيرًا مفيدًا جدًّا ، مملوءًا حكمة وسدادًا [...].

المطران جرمانوس فرحات،

"تاريخ تأسيس الرهبانيّة اللبنانيّة" في بدايات الرهبانيّة اللبنانيّة، تقديم وإعداد الأب جوزف قزّي، الكسليك، مركز التوزيع والنشر، ١٩٨٨، ص ١٢٩، ١٣٧، ١٥٢– ١٥٣.

###

إنّ مؤسّسي هذه الرهبانيّة هم، مبدئيًّا، جبرايل حوّا، وعبدالله قراعلي، ويوسف البتن، وقد انضمّ إليهم رفيقهم جرمانوس فرحات. لكنْ من يطّلع على تاريخ هذه المؤسّسة، ويتعمّق بماجريات الأمور، يتّضح له أنّ مؤسّسها الفعليّ هو عبدالله قراعلي.

إنّ القوانين والفرائض التي اتّبعتها هذه الرهبانيّة عند نشأتها، [...] لم تُؤلَّف دفعة واحدة، وليست هي عمل شخص واحد. بل أكبّ على صياغتها المؤسّسون الأربعة ومَن آزرهم. ولقد انتهى النصّ الأوّل لهذه القوانين والرسوم خلال سنة ١٦٩٤، وكان ينطوي على إثنين وعشرين بابًا، [...].

وفي عام ١٦٩٩ قصد جبرايل حوّا وعبدالله قراعلي الكرسيّ البطريركيّ في قنّوبين يلتمسان تثبيت القوانين الجديدة، أي [التي تضمّ] ٢٢ بابًا، والاعتراف الرسميّ بالرهبانيّة الجديدة. قَبِلَ السيّد البطريرك إسطفانوس الدويهي التماسهما، إنّما كتب في صورة التثبيت العبارة التالية: "إنّنا لا نبرّىء أولادنا الرهبان من قوانين مار أنطونيوس". أمّا حوّا وقراعلي فلم يقبلا بهذه العبارة بحُجّة أنّ القوانين المنسوبة إلى مار أنطونيوس هي كثيرة ومختلفة وأكثرها تهمّ الحبساء وليس الرهبان الديريّين. وهذا ما قد يخلق لهما التباسًا ومشاكل. عندئذ مزّق البطريرك صكّ التثبيت، وهما رجعا إلى ديرهما "مرت مورا" بخُفَّي حُنين .

وبعد الكثير من المحاولات والتوسّلات التي باءت جميعها بالفشل، تناول عبدالله قراعلي بنفسه القانون الجديد وَبَتَره واختصره وجعله خمسة عاشر بابًا فقط. عندئذ تنازل السيّد البطريرك الدويهي وثبّت هذه القوانين في ١٨ حزيران ١٧٠٠.

وبعد خمس وعشرين سنة، أُضيف إلى هذه القوانين الأبواب الثلاثة : في التواضع، في الصبر، وفي المحبّة الأخويّة، وثبّت السيّد البطريرك يعقوب عوّاد القوانين الجديدة بأبوابها الثمانية عشر، وذلك في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٢٥ .

ولكي تكون النظرة التاريخيّة الخاصّة بقوانين الرهبانيّة اللبنانيّة كاملة، نشير إلى أنّ هذه الأبواب الثمانية عشر لم تكن كافية للحصول على براءة التثبيت من الكرسيّ الرسوليّ، بل كان من الواجب أن تُحدِّد القوانين والرسوم، تحديدًا دقيقًا وكاملًا، الحقوق والواجبات لكلٍّ

من الوظائف الرهبانيّة. لذلك التجأت الرهبانيّة عام ١٧٢٧، بشخص رئيسها العامّ الأب مخايل إسكندر الإهدنيّ، وبمؤازرة المنسنيور يوسف شمعون السمعاني الشهير، إلى قوانين رهبان القدّيس بولس الحبيس التي أثبتها الحبر الأعظم سنة ١٧٢٥، كما استوحت أيضًا بعض فرائضها من قوانين رهبان الكرمل والآباء اليسوعيّين. عندئذ، أصدر البابا اكليمنضوس الثاني عشر براءة التثبيت لقوانين ورسوم الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، بتاريخ ٣١ آذار ١٧٣٢ .

ومنذ ذاك الحين أصبحت هذه المؤسّسة، التي انقسمت في ما بعد إلى لبنانيّة وحلبيّة (مريميّة)، حبريّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ رهبانيّة مار أشعيا، المعروفة بالرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة، والتي كانت تأسّست عام ١٧٠٠، تبنّت بدورها هذه القوانين وأثبتها لها البابا ذاته في ١٧ كانون الثاني ١٧٤٠.

القانون هو الطريق المستقيم الذي يسير عليه الراهب ليَصِلَ إلى الربّ . والراهب اللبنانيّ الماروني يبقى قانونه الأوّل، بعد الإنجيل المقدّس، الأبواب الثمانية عشر الحاملة إلينا روحانيّة وروحيّة الكنيسة السريانيّة المارونيّة. إنّ هذه الابواب تُجسّد، أيضًا، روحانيّة وروحيّة المطران عبدالله قراعلي الذي يُدعى بحقّ المصلح الرهبانيّ والمصلح البيعيّ في الكنيسة المارونيّة. فالعودة إلى هذه الأبواب الثمانية عشر، وإلى كتاب " المصباح الرهبانيّ " الذي أهدانا إيّاه المطران قراعلي حيث يشرح فيه هذه الأبواب الثمانية عشر، هي العودة الحقيقيّة إلى الينابيع الصافية المغذّية التي يدعونا إليها المجمع الفاتيكانيّ الثاني. وإذا كانت "غاية الناموس هي المسيح " كما يقول القدّيس بولس (رومية ١٠، ٤/١٠)، فالغاية من قراءة هذه الأبواب والتأمّل فيها هو، دون شكّ، المسيرة بأمان نحو السيّد المسيح والالتقاء به! وهذه هي الأمنية الأولى للراهب اللبنانيّ الماروني الأصيل.

الأب يوسف محفوظ،

"قوانين الرهبانيّة اللبنانيّة (١٨بابًا، تقديم) في بدايات الرهبانيّة اللبنانيّة، تقديم وإعداد الأب جوزف قزّي، الكسليك، مركز النشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص ١٨١-١٨٢.

###

[...] قضى طوال حياته النسكيّة في خدمة الله والقريب ورهبانيّته وطائفته، قضاها راهبًا متقشّفًا، راهبًا معلّمًا ومرشدًا، راهبًا مربيًّا بكلامه وتعليمه ومثله، راهبًا مُصلحًا في القضاء والقانون والرهبنة والطائفة، راهبًا واعظًا، قاضيًا ومتشرّعًا، راهبًا مكرّسًا حياته لربّه وبلاده، أسقفًا راعيًا صالحًا، غيورًا، نشيطًا لا ينام إلّا قليلًا، ولا يأكل إلّا نادرًا ليقتات جسمه دون نهم أو شهوة ليبقى متسلّطًا على قواه وشهواته. فمَن كان هكذا صالحًا يبقى ذكره حيًّا في القلوب، وخالدًا في نفوس أبناء طائفته ورهبانيّته والبلاد.

الأباتي بطرس فهد،

المطران عبد الله قراعلي مؤسّس الرهبانيّة المارونيّة الحلبيّة اللبنانيّة، ١٦٩٤، في وادي قاديشا المقدّس، في عهد البطريرك الماروني العظيم، إسطفانوس الدويهي علّامة دهره، (د.م)، (د.ن)، ١٩٩٣، ص ١٧٩- ١٨٠.

###

"ناحت عليه كلّ أهل البلاد. و [ناح] تلاميذه نوحًا موجعًا. [وبكاه] [ال] رهبان بكاء مفجعًا. سألتكم بالله يا رهبانه وآل بيروت وأرباب الذكا. كفّوا تلاميذه عن البكا. عزّوا المشايخ وكلّ الخوازن والأعيان. على فقد الحبيب. فأمر الله سهم لا يخيب ...

"غارس النصوب. قد توفّي فضمّخوه بالطيوب. وأجروا المطلوب، قبل أن يُدفن ذا المحبوب. بلّغوا موته، وانشروا وفاته. في السّرعة بتجري المدمعة. وليقدَّس لنفسه الورعة. قم من ضريحك، وانشد مديحك يا ابن فرحات. وارثِ من كان يأخذ بيدك. ويريحك. تغزّل بالجليل مار عبدالله. وارحب بذا الإمام. وكن معه على الدّوام. سُرُّوا وافرحوا بملكوت النّعيم مع الأبرار. حيث يقطن كلّ الأطهار. [...].

المطران يواصاف الدّبسيّ البسكنتاويّ، الرّاهب الحلبيّ اللّبنانيّ،

من قصيدة رثاء مؤثّرة عن المطران عبدالله قراعلي وتلميذه الأبّ اللبّودي، نظمَها على الوزن السّريانيّ المعروف: "بيت عنيديه"[1]، نقلًا عن الأباتي بطرس فهد، **المطران عبدالله قراعلي، مؤسّس الرهبانيّة المارونيّة الحلبيّة اللبنانيّة سنة ١٦٩٤**، العقيبة، مطابع يوبي برنتنغ برس، ١٩٩٣، ص ١٦٥.

###

من مرثاة أخرى في المطران عبدالله قراعلي، وهي طويلة، نذكر منها هذه الأبيات:

تعالوا نبكي يا رهبان قزحيّا ودير مار أليشع ودير الشّوف ورشميّا،
يا رهبان لويزة ومار الياس ودير الصير مع طاميش والرأس،
ومار بطرس كُرَيْم التّين وفي رومية بمرشلين
يا زوق مصبح سقاك الطلّ والأمطار لأنّ بفَنَاكِ جاد الرّوح هذا البارّ
سقى اللّويزةَ ضريحُهُ المبارك مَنْ يزوره ومِنْهُ يتبارك
يجيد بالدموع كالأنهار: ويندب فَقْدَ ذا المختار [...]

نقلًا عن الأباتي بطرس فهد، **المطران عبدالله قراعلي، مؤسّس الرهبانيّة المارونيّة الحلبيّة اللبنانيّة سنة ١٦٩٤**، العقيبة، مطابع يوبي برنتنغ برس، ١٩٩٣، ص ١٦٥-١٦٦.

###

راهب مؤسِّس وأسقف مُصلِح، عمل بلا كللٍ ولا تعب، بكلّ تفانٍ ومحبّة وعطاء واندفاع، منذ تأسيس الرهبانيّة حتّى وفاته، على إغناء رهبانيّته الناشئة، والكنيسة المارونيّة، والوطن، بالتشريع والقوانين والتآليف الروحيّة والطقسيّة، وكان من أكثر الساعين إلى عقد المجمع

[1] معناها الحرفيّ: بين الأموات. والمقصود بها، في موقعها، الكلمتان اللتان بُدِأت القصيدة بهما، فشكّلتا "مَطلعًا شعريًّا" اعتُمد عنوانًا ثابتًا لوزنٍ شعريٍّ يُقلَّد، ويُبنى على نحوِه.

اللبنانيّ، الذي قام بإصلاحات واسعة في الكنيسة المارونيّة، في دير سيّدة اللويزة سنة ١٧٣٦، كما كان من أكثر المتحمّسين لتطبيق مقرّراته.

الأب جورج ناصيف ر.م.م.،

الموجَز في حياة المطران عبدالله قراعلي، الطبعة الأولى، زوق مصبح – لبنان، منشورات الرهبانيّة المارونيّة، ٢٠٠٧، ص ٤٩.

###

"يا خبزَ الحياة"، "صلاتُك معنا"، "نهديك السلام"، "بسرّ قيامة المسيح ربّنا"... ترانيم وأناشيد روحيّة نردّدها جميعنا منذ مئات السنين، ولكنّ قلّة منّا تعلم أنّ مؤلِّفها وواضعها هو أحد مؤسِّسي الرهبانيّة المارونيّة المريميّة المطران عبد الله قراعلي، الذي كانت له بصمة واضحة في تاريخ الكنيسة المارونيّة تحديدًا.

عُرِفَ بحبّه للصلاة والعمل والتنسّك والصوم والتقشّف وقداسة السيرة. وقد كانت له اليد الطولى في الإصلاح الطائفيّ في الكنيسة المارونيّة، فعمل كثيرًا في سبيل التئام المجمع اللبنانيّ الذي انعقد في دير سيّدة اللويزة عام ١٧٣٦، وساهم في نجاحه. كما أنّ رهبانيّات شرقيّة عدّة، في أطوار تأسيسها، تبنّت قوانين الرهبانيّة الجديدة.

عُرِفَ بقوة شخصيّته وتأثيرها في توجيه رهبانه للعمل من أجل نهضة لبنان في القرن الثامن عشر، وذلك في حقل المدارس والزراعة والاقتصاد وصناعة الحرير والحياكة وفنّ البناء.

المطران قراعلي الذي فرض إلزاميّة التعليم، عُرِفَ بحبّه لنشر العلم والثقافة فكان يهتمّ بإنشاء مدرسة إلى جانب كلّ دير. وهكذا تابعت الرهبانيّة، بعد موت مؤسِّسها، رسالتها التعليميّة، فاستمرّت في فتح المدارس وتنظيمها وتحديثها في لبنان وخارجه، حتّى كلّلتها بفتح جامعة.

"المطران عبدالله قراعلي... ملفّ قدّيس جديد من لبنان"، ٢٠٠٧/١٠/٢٩، راجع الموقع الإلكترونيّ:
https://now.mmedia.me/lb/ar/nowspecialar:now

###